المعصوم والكعبة

٣٤
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

المَعـ

المَعصُومُ وَالكَعبَة

٢

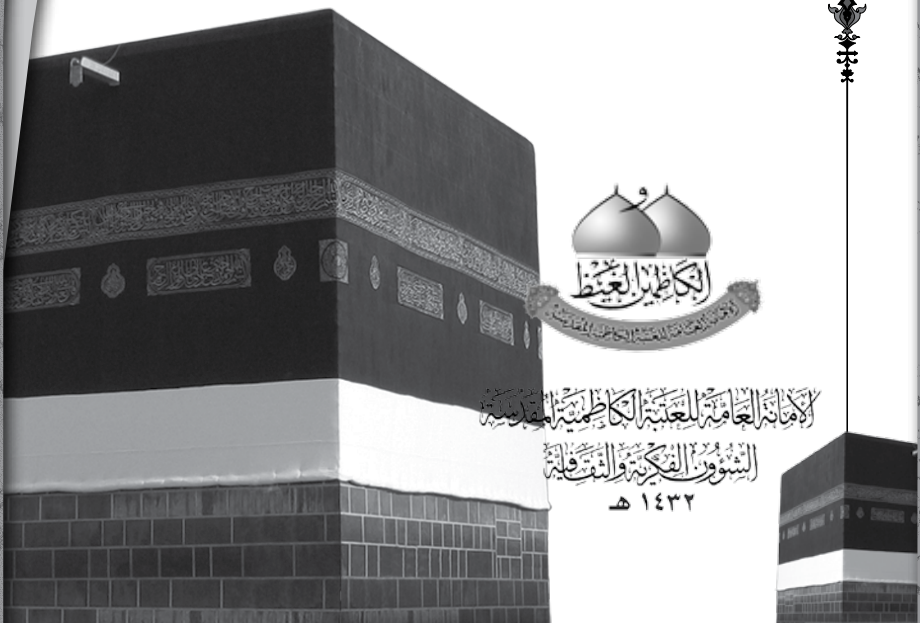

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين، لا سيما بقية الله في الأرضين الحجة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه.

في اليوم الثالث عشر من شهر رجب الأصبّ تمر علينا ذكرى ولادة أمير المؤمنين عليه السلام الذي وُلد دون غيره من بني البشر في بيت الله الحرام فتفرد بكونه (وليد الكعبة).. وإن محل هذه الولادة له تشريف عظيم في كل الرسالات السماوية ولدى كل المعصومين عليهم السلام ولها قداسة في قلوب المسلمين إذ يرتبط المسلم بالكعبة الشريفة في كثير من الأحكام الشرعية ففي كل صلاة واجبة يجب على المسلم أن يتجه باتجاه البيت الحرام ولا يصح أن يتجه لأي جهة كانت كما يجب عليه الحج إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ولا يحل ذبح الحيوانات التي أحلّ الله سبحانه ذبحها إلا مع هذا الاستقبال ويحرم – أيضاً- هذا الاستقبال في حال دخول الإنسان إلى بيت الراحة لقضاء حاجته ويحرم الاستدبار في هذه الحالة أيضاً ويكره هذا الاستقبال في حال الجماع ويستحب في موارد كثيرة منها حال الدعاء وحال الذكر وحال التعقيب وحال المرافعة عند الحاكم وحال سجدة الشكر وسجدة التلاوة وحال الجلوس مطلقاً.

ويبقى هذا الارتباط بالكعبة الشريفة حتى إذا حضر الإنسان المسلم الموت وجب إن يستقبل الكعبة الشريفة ليقضي آخر لحظاته وهو متجه إليها وبعد الرحيل يدفن وجوباً مستقبل القبلة.. ومن ذلك نفهم أن المسلم يكون ارتباطه بالكعبة الشريفة من أول بلوغه إلى حين احتضاره بل بعد دفنه ولهذا صارت مقابر المسلمين معلماً وشاهداً لاتجاه القبلة.

وإلى جانب ذلك الارتباط، هناك ارتباط آخر، وهو ولاء المسلم لأولياء الله المعصومين وأحبائه، الذين كانت حركتهم مرتبطة أيضا بالكعبة المشرفة، فهو يحبهم ويقتدي بهم ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويوالي محبيهم ويعادي مبغضيهم ويهتدي بهداهم ويستنير بنورهم ويمشي على خطاهم ويقتفي أثرهم ويحيي ذكرهم ويعظّم أمرهم ويُعلي شأنهم ويُبقي ذكرهم.

وهؤلاء الأولياء مرتبطون ببيت الله الحرام قبل ارتباطنا، بل وأشد من ارتباطنا وهذا البحث يسلط الضوء على بعض من ذلك الارتباط.. رزقنا الله وإياكم ولاية أوليائه وتعظيم شعائره.

الكعبة والخليل عليه السلام

أول ميزة تمتاز بها الكعبة الشريفة هو نسبتها إلى الله سبحانه فهي (بيت الله) وهذه النسبة التشريفية تعني أنه بيت يختص بعبادة المولى سبحانه وهذا البيت هو أول بيت وضع للناس، فهو سابق كل البيوت التي بُنيت فيما بعد وهي خاصة بعبادة الله سبحانه وهذه الأولوية أو الأسبقية تعني أن البيت له وجود ضارب في القدم بل تأريخه يبدأ مع تأريخ فجر البشرية.

قال أمير المؤمنين عليه السلام (ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم عليه السلام إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله الله للناس قياما، ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجرا، وأقل نتائق الدنيا مدراً، وأضيق بطون الأودية قطراً بين جبال خشنة ورمال دمثة وعيون وشلة وقرى منقطعة لا يزكو فيها خف ولا حافر ولا ظلف ثم أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابةً لمنتجع أسفارهم...)[1]

وروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله (بعث الله جبرائيل إلى آدم وحواء فقال لهما ابنيا بيتاً، فخط لهما جبرائيل فجعل يحفر وحواء تنقل حتى أجابه الماء ونودي من تحته حسبك يا آدم فلما بنياه أوحى الله أن يطوف به وقيل له أنت أول الناس وهذا أول بيت ثم تناسخت القرون حتى حجه نوح ثم تناسخت القرون حتى رفع إبراهيم القواعد منه)[2] والظاهر من هذين النصين الشريفين

(١) . في ظلال نهج البلاغة ج١ص١٢٩
(٢) الدر المنشور ١٢٩/١.

إن بناء البيت جاء وفق تخطيط إلهي وبإشراف ودلالة رسول الله الملَك (جبرائيل) وبمباشرة أبي الأنبياء آدم عليه السلام وأم البشر حواء ومعنى ذلك إن البشر يحتاج فيما يحتاج لإدامة حياته مسجداً يتعبد به، بل هو من ضروريات حياته التي لا يمكن الاستغناء عنه، وهكذا بدأت وبأمر الله سبحانه حياة البشرية وقد وصف هذا البيت الأول بأنه (للذي ببكة) في قوله تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١)

(وأصلها من البك بمعنى الزحم يقال بكه يبكه بكا إذا زحمه وتباك الناس إذا ازدحموا وكأنها سميت بذلك لازدحام الحجيج فيها، وقيل بمعنى الدق وسميت بذلك لدق أعناق الجبابرة إذا أرادوها بسوء وإذلالهم فيها ولذا تراهم في الطواف كآحاد الناس ولو أمكنهم الله تعالى من تخلية المطاف لفعلوا)(٢).

وبعد هذين الوصفين (الأسبقية، البكة) يصف القرآن هذا البيت بأنه مباركاً وهدى للعالمين فقد جعل الله فيه البركة (وهي زيادة الخير) وجُعل من قبل المولى سبحانه نفسه سببا للهداية لكنها هداية ليست محصورة بشعب معين بل هي عامة تشمل كل العالمين بسبب شهرة البيت وتسامع الناس به مما يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه وأنه وضع للعبادة مما يفتح الباب لمعرفة العبادة ومَن هو طرفها (المعبود) كي يؤدي بالإنسان المفكّر إلى الهداية الإلهية، ومن خصائصه التكوينية هو كونه مثابة للناس، ومعناه المرجع فلا يكاد هذا البيت المبارك يخلو

(١) آل عمران ٩٦
(٢) روح المعاني ٣/١٣٤.

من مجيء الناس ورواحهم منذ خلق الله الدنيا وإلى آخرها كما سيمر علينا لاحقاً.

وكون البيت الحرام هو أول بيت (وضع للناس) ومعنى ذلك إن المساجد هي للناس مما يدل على أن ما لله هو للناس وما للناس هو لله, ومرت على هذا البيت مراحل كثيرة ولعلنا نلمح من القرآن الكريم إن البيت لم يبق منه إلا القواعد في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام لذلك أُمر عليه السلام بـ (رفع القواعد من البيت) وليس بناء البيت، بل بتجديد البناء.

وقصة هذا التجديد تبدأ من امرأة حرة اسمها سارة تهب جاريتها هاجر إلى زوجها بعد أن يئست من أن تلد هي وقد بلغت مرحلة اليأس وبلغ زوجها من الكبر عتياً لكن شاء الله أن يرزق ذلك الرجل من أَمَته طفلاً يكون سبباً للغيرة عند الزوجة الأولى التي كانت تملك تلك الأَمَة، فكانت تؤذي زوجها في ذلك رغم أنه خليل الرحمن فرفع أمره إلى ربه (فأوحى الله إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء إن تركتها استمتعتها وإن أقمتها كسرتها) ثم أمره أن يخرج إسماعيل وأمه فقال يا رب إلى أي مكان؟ قال إلى حرَمي وأمني وأول بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة، فأنزل الله عليه جبرائيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلا قال يا جبرائيل إلى ههنا إلى ههنا؟ فيقول لا، امض امض، حتى أتى مكة فوضعه في موضع البيت)[1]، ومرة أخرى يكون التجديد بأمر إلهي وتخطيط رباني لأن هذه المرأة التي تُركت في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع سألت زوجها عن سبب

(١) تفسير القمي ٦١/١.

تركها وابنها في هذا الوادي فأخبرها إن الله سبحانه أمره بذلك فلما علمت ذلك أسلمت أمرها لله عز وجل وعلمت إن المولى لا يضيعها هي وابنها، وهذا دليل على حُسن ظنها بالله الذي لا يخيب آمله، وانصرف الشيخ الكبير مودعاً زوجته وابنه داعياً ربه سبحانه:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ (١)

والدعاء يطابق التأريخ بأن مكة لم تكن مؤهلة للسكن والتعبير بواد غير ذي زرع يدل على ذلك ويدل أيضاً على معرفة الخليل عليه السلام بمكان بيت الله المحرم وإن كان قد تعرض للهدم عدة مرات مما احتاج معه إلى إعادة بنائه فيما بعد، والملاحظة المهمة إن الخليل عليه السلام في دعائه طلب هَوْيَ القلوب إلى ذريته الساكنة إلى جنب البيت ولم يطلبها (أي هَوْي القلوب) إلى البيت الحرام مما يدل على أهمية هذه الذرية، ونعلم تلك الأهمية أيضاً من قوله تعالى في طلب الخليل عليه السلام لمسألة الإمامة لذريته بعد أن أعطيت له:

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً (٢) قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (٣)

(١) إبراهيم /٣٧.
(٢) قارن بين جعل الإمامة للناس ووضع البيت للناس.
(٣) البقرة ١٢٤/.

فالمولى سبحانه لم يجب إبراهيم الخليل عليه السلام بالإيجاب المطلق ولا بالسلب المطلق بل أجابه بأن الإمامة هي عهدُ الله، يناله بعض الذرية لا كلهم وهذا البعض صفته أنه لم يتلبس بأي نوع من أنواع الظلم وقد نص القرآن الكريم على انقسام تلك الذرية إلى الظالمين والمحسنين

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (١)

ونجد هذا الاهتمام بالذرية أيضاً في دعاء إبراهيم عليه السلام عند إكمال تجديد بناء البيت الحرام فقد نص القرآن على ذلك:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)

والتعبير بـ (رفع القواعد) كما أسلفنا يدل على وجود سابق للبيت لكنه تعرض للهدم ولم يتبق إلا قواعده وقد أمر الله الخليل وابنه عليهما السلام بتجديد البناء ونراهما يتضرعان إلى

(١) الصافات /١١٣.
(٢) البقرة / ١٢٧-١٢٩.

الله سبحانه عند هذا التجديد بستة طلبات سألوا الله تعالى تحقيقها لهم:

١. طلبا قبول عملهما هذا (فالتقيّ يعمل ويخاف عدم القبول، والغافل لا يعمل ويرجو الرحمة).

٢. طلبا مرتبة خاصة من التسليم وهو التسليم المطلق (مسلمَيْن لك) فلا يعقل أن يكون طلبهما أول الإسلام.

٣. طلبا نفس هذه المرتبة الخاصة من التسليم والتي طلباها لأنفسهما طلباها لذريتهما- وهذا نوع من أنواع الاهتمام بتلك الذرية المباركة.

٤. طلبا تفهم طريق العبادة (وأرنا مناسكنا) حتى يعبدا الله من حيث يريد هو سبحانه.

٥. طلبا التوبة.

٦. طلبا بعثة خاتم الأنبياء لتلك الذرية (وابعث فيهم) رسولاً من تلك الذرية المباركة منهم وقد فسر ذلك رسول الله بقوله ﷺ:

(أنا دعوة إبراهيم وكان آخر من بَشَّر بي عيسى بن مريم)[1] ويلزم من ذلك أن ذريته وهم ذرية إبراهيم وإسماعيل هم المقصودون بهذا الدعاء أيضاً وقد استفاض النقل عن الأئمة عليهم السلام ذلك ومنه دعاء الإمام الصادق عليه السلام (يا من خصنا بالكرامة وخصنا بالوصية ووعدنا الشفاعة وأعطانا علم ما مضى وما بقي وجعل أفئدة من الناس تهوي إلينا، اغفر لي ولإخواني

(١) جامع الصغير /١٠/٢٤٣.

ولـزوار قـبر أبي عبـد الله الحسـين عليه السلام[1]، وهذه الذريـة المباركة محمد وآله صلى الله عليه وآله يتبعون جدهم الأعلى إبراهيم الخليل في شـيء آخـر وهـو روح الحج كما هو روح كل العبـادات فلا تصح العبادات بدونه وهو ولاية ولي الله فنرى إبراهيم عليه السلام يؤمر بـ :

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[2]

فانظر أن نتيجة الإعلام الإبراهيمي في الناس أن يأتي الناس للبيـت أو يأتوا لإبراهيم عليه السلام وظاهر القرآن الكريم (يأتوك) هو الإتيان لإبراهيم عليه السلام لا للكعبة، وهذا ما ورد في حق ذريته منهم عليهم السلام فعـن الإمام الباقـر عليه السلام إنه (نظر إلى النـاس يطوفون حول الكعبـة فقال هكذا يطوفون في الجاهلية إنمـا أُمروا أن يطوفوا ثـم ينفـروا إلينا فيعلمونـا ولايتهـم ويعرضون علينـا نصرهم ثـم قرأ هـذه الآية (فاجعل أفئدة من النـاس تهوي إليهم) فقال آل محمـد آل محمـد ثم قـال إلينا إلينا)[3] وهـذه الحالة يمكن تصورها بعد رحيلهم باستحباب زيارتهم عليهم السلام لذلك روى الإمام الصـادق عليه السلام عـن جـده رسـول الله صلى الله عليه وآله (من أتى مكـة حاجاً ولم يزرنـي إلى المدينـة جفوته يـوم القيامة ومن أتانـي زائراً وجبت له شـفاعتي ومـن وجبت له شـفاعتي وجبت له الجنـة)[4] وهذا لا يعـني على كل حال الوجوب بل يدل على الاسـتحباب الأكيد

(١) الكافي /٤/٥٨٣.
(٢) الحج /٢٧.
(٣) بحار الأنوار ٦٥/٨٨.
(٤) الوسائل ١٤/٣٣٤.

وعلى حد تعبير الشيخ الشعراوي (زيارة قبر رسول الله ﷺ ليست من النسك ولكنها من ذوق الإيمان لرسول الله محمد ﷺ الذي علّمنا المناسك فمن الذوق أن نزوره فهو الذي قال ﷺ:(مَن حجّ ولم يزرني فقد جفاني)[1] وهذا ينطبق بالمرور على ذريته المباركة في حياتهم وبعد مماتهم بزيارة قبورهم وهذا ما أمر به الإمام الصادق عليه السلام شيعته (ابدؤوا بمكة واختموا بنا)[2] وبذلك يرتبط المسلم الذي يؤدي مناسك الحج بالمصطفى وآله من جهة ويرتبط بجدهم الأعلى إبراهيم الخليل من جهة أخرى فكل مناسك الحج من إحرام ووقوف بعرفات ومبيت بمزدلفة وذبح الأضاحي ورمي ا لجمرات والسعي بين الصفا والمروة والطواف والصلاة في المقام تحكي قصة الخليل عليه السلام وتمثل مواقفه ومواقف أسرته، ولا عجب من هذا التخليد فقد أبلغ الرسول الأكرم ﷺ الأمة وهو يودّعها في آخر عمره الشريف في بيت الله الحرام في حجة الوداع: (يا أيها الناس أي يوم هذا قالوا هذا يوم حرام قال أي بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأي شهر هذا قالوا شهر حرام فقال إن أموالكم ودمائكم وأعراضكم عليكم حرامٍ كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ثم أعادها مراراً ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم هل بلغت)[3] وأكثر من ذلك يقول الإمام الصادق عليه السلام (المؤمن أعظم حرمة من الكعبة)[4] فكيف حال سادات المؤمنين من الأولين والآخرين.

(١) جامع الجنان ١/٢٤٣.
(٢) الكافي ١/٧٧٦.
(٣) مسند أحمد ٤/٤٦٤.
(٤) الخصال / ٢٧.

الكعبة وذرية الخليل عليه السلام

عندما يدعو الإمام السجاد عليه السلام ربه بالصلاة لأبي البشر آدم عليه السلام يصفه بقوله عليه السلام: (المنيب الذي لم يصرّ على معصيتك وسابق المتذللين بحلق رأسه في حرمك والمتوسل بعد المعصية بالطاعة إلى عفوك وأبو الأنبياء الذين أوذوا في جنبك وأكثر سكان الأرض سعياً في طاعتك)[1] وفيه تصريح أن أبا البشر قد سبق المتذللين لله سبحانه بأداء بعض مناسك الحج (حلق الرأس) وهذا يؤيد ما مر أن البيت ضارب في الزمان القديم ولعل ذلك هو السبب في تسميته بـ (البيت العتيق) وإن كانت هناك أسباب غير ذلك نذكر منها، أنه عُتق من طوفان نوح عليه السلام ومعنى ذلك أن الطوفان عم الكرة الأرضية إلا هذه البقعة المباركة والحاصل إن بعد البناء وبعد التجديد الإبراهيمي استمرت البشرية تقصد هذا البيت ونلمح إشارة إلى وجود هذا القصد في قصة كليم الله عليه السلام عندما اضطر إلى الرحيل من مصر ووصل إلى مدين وقصته مع المرأتين ووصوله إلى بيت شعيب عليه السلام وإجارته مقابل زواجه بأحدى بناته:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]

(١) الصحيفة السجادية /٢٦٦.
(٢) القصص /٢٧.

فتسمية العام الواحد بالحجة لاشتماله على حجة واحدة يدل دلالة واضحة أن الحج معروف في تلك الأزمان.. والحاصل إن البيت الحرام يختزل كل التأريخ (تأريخ الأنبياء والأولياء) فكلهم مروا بهذا البيت المبارك وتعبدوا لله منه فهو مقصدهم ومعبدهم وعلى تعبير أمير المؤمنين عليه السلام (يولهون إليه ولوه الحمام)، وعلى تعبير القرآن إن البيت (مثابة للناس).

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والكعبة

بعد رحلة الأنبياء عليهم السلام تنتكس الأمم إلى جاهليتها الأولى ويرجعون إلى عقائدهم السابقة ويخلطون بينها وبين ما تعلموه من تعاليم الأنبياء، فترى بعض تلك التعاليم باقية كقدسية الكعبة الشريفة وفضلها والطواف بها والتعبد فيها، ولكن طالها التشويه والتحريف بعد أن ملئت من الأصنام التي تُعبد من دون الله سبحانه، وكان لا بد من حركة تطهّر البيت المحرم من هذه الأرجاس ولا بد أن تكون هذه الحركة متصلة بالله سبحانه وذلك بنصب الحجج الإلهية وذلك بإرسال الرسل أو الأنبياء أو أوصيائهم وقمة ذلك كان في عهد خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وقد حسم قبل بعثته معركة كادت أن تحصل بين قبائل قريش بسبب أن الكل يريد أن يتشرف بوضع الحجر الأسود بعد أن اجتمعت كل القبائل في البناء (لو لا أن أبا أمية بن المغيرة المخزومي اقترح على المتطاحنين أن يحتكموا فيما شجر بينهم إلى أول داخل من باب الصفاء وشاء الله أن يكون ذلك محمداً فلما رأوه هتفوا هذا الأمين ارتضيناه حكماً وطلب محمد صلى الله عليه وآله ثوباً فوضع الحجر وسطه ثم نادى رؤساء القبائل المتنازعين فأمسكوا جميعاً بأطراف الثوب حتى أوصلوا الحجر إلى الكعبة

فحمله محمد ومن ثم وضعه في مكانه العتيد)[1] وقد بدأت دعوته المباركة بعد دعوة عشيرته الأقربين بأن (صعد -ﷺ- على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر، يا بني عدي، يا بني فلان لبطون قريش، حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطيع أن يخرج، أرسل رسولا ينظر وجاء أبو لهب وقريش فاجتمعوا فقال أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟ قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً قال فأني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[2] واستمر خلال ثلاث عشرة سنة يدعو الناس لدين الله سبحانه وكان مركز دعوته هو بيت الله مستغلا توافد قبائل العرب لهذا المركز الديني وأخذ يعرض لتلك القبائل الرسالة الإسلامية إلى أن وجد حاضنة للإسلام وهي المدينة المنورة ولم يفارق الحرم الشريف إلا بعد إخراجه منه وفي طريقه وصل إلى (الجحفة) والتي لا تبعد عن مكة كثيراً تذكّر وطنه وبيت الله وظهرت آثار الشوق على وجه النبي الكريم ممزوجة بالحزن والتأثر فنزل أمين الوحي جبرائيل على رسول الله وقال: (أتشتاق إلى بلدك وهو مولدك؟ فقال النبي ﷺ نعم فقال جبرائيل عليه السلام فإن الله يقول:

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾[3](يعني مكة)[4]

وكان وعداً إلهيا ينتظر الرسول الأكرم ﷺ أن ينجزه ولو بعد حين وفي أثناء ذلك كان ﷺ ينتظر أو يتوقع أن تتغير قبلة

(١) فقه السيرة / ٦٤.
(٢) السنن الكبرى ٤٣٨/٦.
(٣) القصص /٨٥.
(٤) الأمثل ٣١٤/١٢.

الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة الشريفة حباً لها أولا وحتى لا يكون تابعاً بشكل من الاشكال لليهود الذين كانوا يعيّرون النبي ﷺ بأنه تابع لقبلتهم:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (١)

وبعد ذلك بسنوات تحقق الوعد الإلهي وفتحت مكة للنبي ﷺ ورجع إلى بيت الله وطهره من الأصنام والأوثان وبقايا ا لجاهلية وكان تحطيم الأصنام بيد أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى عنه الحاكم النيسابوري: (انطلق بي رسول الله ﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال لي أجلس فجلست إلى جنب الكعبة فصعد رسول الله ﷺ بمنكبي ثم قال انهض فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته، قال اجلس، فنزلت وجلست ثم قال لي يا علي اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه ثم نهض بي رسول الله ﷺ فلما نهض بي خُيّل إليّ لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى رسول الله ﷺ فقال لي ألقِ صنمهم الأكبر صنم قريش وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض فقال لي رسول الله عا لجه ورسول الله ﷺ يقول إيه إيه جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً فلم أزل أعا لجه حتى استمكنت منه فقال اقذفه فقذفته فتكسر)(٢).

(١) البقرة / ١٤٤.
(٢) المستدرك ٣٦٨/٢.

وليد الكعبة عليه السلام

ما أحرى أن يكون علياً عليه السلام هو الذي يطهّر البيت الحرام وقد ولد في جوف الكعبة، إذ قال الحاكم النيسابوري (فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في جوف الكعبة)[1] ويصور شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد رضا الهندي رحمه الله العلاقة بين الولادة فيها وتطهيرها بقوله:

لما دعاك الله قُدماً لأن ... تولد في البيت فلبّيتَه

شكرته بين قريش بِأن ... طهرت من أصنامهم بيتَه)[2]

ويبدأ هذا الميلاد المبارك بأن تُقبل أمّه وهي حامل لتسعة أشهر إلى بيت الله الحرام قائلة: (ربِ إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، وبحق المولود الذي في بطني لما يسرت عليّ ولادتي، قال يزيد بن قعنب: فرأينا البيت وقد انفتح عن ظهره، ودخلت فاطمة، وغابت عن أبصارنا، والتزق الحائط، فرمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح، فعلمنا أن ذلك أمر من أمر الله تعالى ثم خرجت بعد اليوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: إني فُضّلت على من تقدمني من النساء، لأن آسية بنت مزاحم عبدت الله عز وجل سراً في موضع لا يحب أن يعبد الله فيه إلا اضطراراً،

(١) المستدرك ٣/٤٨٤.

(٢) ❖❖❖ ٦/٢٣.

وإن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة بيدها حتى أكلت منها رطبا جنيا، وإني دخلت بيت الله الحرام وأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها)[1] فلاحظ هذه الولادة التي أراد الله سبحانه أن تكون مميزة، فالمرأة الحامل وهي في أواخر أيام حملها تلجأ لبيت ربها تدعوه لتسهيل حملها بعد أن تعرض تصديقها بالله وكتبه ورسله وبجدها إبراهيم الخليل عليه السلام ويستجاب دعاؤها ويرحب رب البيت بهذه الحامل فيدخلها جوف الكعبة (هو خلاف ما مطلوب من تطهير المساجد من كل أنواع النجاسات) والولادة عادة وعند كل الناس ترافقٍ عادة دم نجس وحالة نفاس يجب أن تطهر المساجد منها فضلاً عن بيت الله الحرام مما يدل على عدم وجود كل هذا في هذه الولادة الفريدة، ومما يركز فرادة هذه الولادة أن الإذن الإلهي لدخول هذه الحامل لجوف الكعبة لم يكن من الباب (بكسر قفله مثلاً) بل بانشقاق الجدار بحيث تدخل من هذا الشق امرأة حامل ويرجع يلتئم خلفها هذا الشق ليفُتح بعد ثلاثة أيام، ويقيناً إن مثل هذا الأمر العجيب قد جرى أمام مرأى ومسمع المتواجدين في الكعبة الشريفة وقد تناقلته الألسن وانتشر هذا الخبر في كل مكة، إن لم نقل خارجها أيضا ويقيناً أنهم انتظروا ماذا سيكون نهاية الحدث ويقيناً أنهم رأوا تلك النهاية بانشقاق الجدار ثانية وخروج الأم والوليد وسمعوا حديثها عن الثلاثة أيام الماضية لأن المرأة الحامل تحتاج إلى من يساعدها على الولادة وتحتاج إلى طعام وشراب وإذا بها تتحدث أن أربعة من سيدات نساء العالمين جئن من عالم آخر ليساعدنها على ذلك وأكلت من ثمار الجنة وشرابها ولم تر ما تراه المرأة عند ولادتها بل قامت عن وليد ساجد لربه ويلهج بذكر ربه.

(١) علل الشرائع / ١٣٥.

ألا يدل كل ذلك على أن هذا الوليد والذي حُفّ بكل هذا الاهتمام الإلهي.. وليّ من أولياء الله، وأن الله سبحانه أراد أن ينبه أهل مكة وأهل ذلك الزمان كلهم بل كل البشرية أن لهذا الوليد شأن من الشأن عند الله سبحانه، وأراد المولى سبحانه إظهار ذلك الشأن من أول يوم وُلد فيه، وقد صدقت الأيام والسنون اللاحقة هذا التميز فتبين للدنيا أن هذا الوليد مميز بكل شيء وهذه من خواص الإمامة، إذ قد يكون شخصاً ما متقدما على الناس في صفة معينة، لكنه لا يمكن أن يكون متقدماً عليهم في كل الصفات فهذا شجاع لكنه قد يكون بخيلا، أو ذاك كريماً وفي الوقت نفسه قد يكون جاهلاً.. بينما نجد الأئمة عليهم السلام فإنهم متقدمون على سائر الناس في كل المجالات، بل لا يمكن أن يقارن بينهم وبين غيرهم وإذا حصلت هذه المقارنة فهي ظلم لهم، ومن ذلك نعرف مدى ظلامة أمير المؤمنين عليه السلام عندما يقارن بغيره وتكون نتيجة تلك المقارنة أن ذلك الغير هو الأفضل رغم نص القرآن الكريم على أن أمير المؤمنين هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله كما في آية المباهلة، والمعلوم بالضرورة واليقين أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أفضل الأولين والآخرين فيكون نفسه أفضل من غيره مهما كان هذا الغير وإن كان نبياً مرسلاً.. وما أروع ما قال الآلوسي عند شرحه لقول عبد الباقي العمري:

أنت العليّ الذي فوق العُلى رفعا

ببطن مكة عند البيت إذ وضعا

حيث قال: (وكون الأمير كرم الله وجهه ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا وذُكر في كتب الفريقين السنة والشيعة - إلى أن قال - :

ولم يشتهر وضع غيره كرم الله وجهه كما اشتهر وضعه، بل لم تتفق الكلمة عليه، وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين؟ وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين)[1].

وينتج من هذا إن الإنسان المسلم بارتباطه بالكعبة المشرفة في صلاته وحجه وطوافه وذبحه وغير ذلك فهو مرتبط بمحل ولادة أمير المؤمنين عليه السلام فهذا الارتباط يعني ارتباطاً به عليه السلام وإذا عرفنا من حديث الإمام الصادق عليه السلام (بُني الإسلام على خمس دعائم: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام)[2] نجد أن أغلب ما بُني عليه الإسلام يذكرنا ويربطنا بأمير المؤمنين واستمرت هذه العلاقة الوطيدة بين أمير المؤمنين عليه السلام والكعبة حتى آخر لحظة من عمره فحينما ضرب بالسيف نادى (فزت وربّ الكعبة) وكان من وصيته لأولاده ولكل من بلغه كتابه (الله الله في بيت ربكم، فلا تخلوه ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تناظروا)[3].

الإمامان الحسنان عليهما السلام والكعبة

لقد التزم أولاده عليهم السلام بهذه الوصية فهذا الإمام الحسن عليه السلام قد (حج خمساً وعشرين حجة وإن النجائب لتقاد بين يديه وهو ماش على قدميه يقول {استحي من ربي إن ألقاه ولم أمش إلى بيتهً} وإذا رآه الناس ترجلوا احتراماً وإكراماً فإذا أعياهم المَشي

(١) سرح الخريدة الغيبية /١٥.
(٢) أمالي الصدوق /٢٦٨.
(٣) نهج البلاغة /٤٧.

جاء بعضهم إلى الإمام وطلبوا منه أن يركب أو أن يبتعد عن الطريق لأن الناس لا تجرؤ على الركوب والإمام يسير فينحرف الإمام بمن معه عن جادة الطريق ليركب الناس رواحلهم)[1] وروي هذا المعنى عن سيد الشهداء أيضاً ولعلهما اجتمعا في سنوات طويلة وقد جمع عليه السلام في أحدى السنوات وبعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام الناس في منى وهو مجمع للعالم الإسلامي فاجتمع له أكثر من ألف رجل وقد أمرهم أن يسمعوا مقالته ويكتبوا قوله وعندما يرجعوا إلى الأمصار والقبائل فعليهم إن أمِنوا الناس ووثقوا بهم أن يدعوهم إلى ما يعلمون من حق أهل البيت عليهم السلام مخافة أن يندرس أمر أهل البيت عليهم السلام ويذهب الحق ويُغلب، وقد ذكر لهم جل فضائل أهل البيت عليهم السلام لأنها في تلك الفترة قد تعرضت لهجمة شعواء من قِبل الحكومة الأموية الجائرة ضمن خطة كبيرة لمحاربة خط أهل البيت عليهم السلام.

وفي إحدى المرات وقف سيد الشهداء عليه السلام في عرفة ليدعو ربه والمسلمون متحلقون حوله يسمعون دعاءه ويتأثرون بهذا العرفان الحسيني (إلهي ماذا وَجَد مَن فقدَك وما الذي فقَدَ مَن وَجدَك لقد خاب مَن رَضِيَ دونَك بَدَلا ولقد خَسرَ مَن بَغى عنك متَحوّلا كيف يُرجى سِواك وأنت ما قطعت الإحسانَ وكيف يُطلَب مِن غيرك وأنت ما بدّلت عادةَ الامتنان)[2] وقد استفاد من مكانة البيت وكون الكعبة مجمعاً للمسلمين، للانطلاق إلى ثورته الكبرى، فقد ترك المدينة بعد رفضه البيعة للطغاة يوم ٢٨ رجب ودخل مكة المكرمة يوم ٣ شعبان وأقام بها بقية شعبان وشهر رمضان وفيه أرسل رسوله (مسلم بن عقيل عليه السلام

(١) صلح الإمام الحسن عليه السلام /٤٣.
(٢) إقبال الإعمال /٣٥٠.

في منتصف شهر رمضان وشهر شوال وذي القعدة وبداية أيام ذي الحجة وأتيحت له خلال هذه الأشهر الأربعة وبضعة أيام أن يلتقي بالناس ويشرح لهم مقاصده ومبادئ ثورته وحصلت المراسلات بينه عليه السلام وبين أهل الكوفة وقد دعاهم ودعى أهل البصرة لنصرته وقد اختار يوم التروية وهو يوم الثامن من ذي الحجة للرحيل عن مكة المكرمة. ونفهم سببين لذلك:

١. الخوف من الاغتيال داخل الحرم مما يسبب انتهاك حرمة البيت الحرام فقد (خرج من مكة جاعلاً حَجه عُمرة مفردة حتى لا تنتهك حرمة البيت العتيق بقتله بعد أن دس يزيد جلاوزته ليفتكوا بالإمام ولو كان متعلقا بأستار الكعبة إذا كان الظالمون لا يلتزمون للكعبة والحرم بأية حرمة، ويستعدون لقتل النفوس البريئة فيه، وهتك الأعراض في ساحته، وحتى لهدمه وإحراقه، كما أحدثوه في تأريخهم الأسود مرارا)[1].

٢. اختياره مكان إقامته مكة المكرمة وفي بيت الله الحرام فرصة للقاء الجماهير المسلمة الآتية من أنحاء البلاد الإسلامية ودعوتهم للنهوض معه مما ينفع بإلقاء الحجة على الأمة.

وخاصة اختيار الرحيل في يوم التروية مما يعني أن غداً ستبدأ شعائر الحج بدءً بالوقوف بعرفات، لكن ابن رسول الله يترك ذلك كله ويرحل بعد أن يخطب بالناس مبيناً مبادئ نهضته المقدسة فقد وقف بتلك الجموع الحاشدة قائلاً عليه السلام: (الحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم خُط الموت على ولد آدم مَخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني

(١) الحسين سماتة /٩٤.

إلى أسلافه اشتياق يعقوب إلى يوسف وخيّر لي مصرعٌ أنا لاقيه كأني بأوصالي يتقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفا وأجربةٍ سغباً لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله ﷺ لُحمته وهي مجموعة له في حضيرة القدس، تُقَرّ بهم عينه، وينجز لهم وعده، مَن كان فيناً باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله)[1]، فتراه عليه السلام بعد الحمد والصلاة على النبي ﷺ يصوّر حتمية الموت وهو في نظر الأمة المهزومة وحش مرعب يصوره بهذا التصوير الجميل والجميل جداً، إذ أنه عليه السلام يصف الموت بقلادة جميلة تطّوق جيداً جميلاً فهذه هي صورة (إحاطة الموت بالإنسان)، ثم يذكر اشتياقه إلى أسلافه ويشبهه باشتياق يعقوب ليوسف عليه السلام ثم يخبر الأمة نهاية حركته الإصلاحية وأنها تنتهي بمصرعه عليه السلام وتقطيع الجسد الطاهر بيد من خرج عن طور البشرية وتمثّل بالذئاب وإن كان بصورة البشر، ثم حث المجتمع الإسلامي للالتحاق بركب الشهادة عن طواعية بعد أن ضرب لهم موعداً وهو الصبح وكلامه موجّهٌ لكل من بذل مهجته ومن وطّن نفسه على لقاء ربه وتبين من عدم استجابة أكثر الحجيج يومها على إن هذا الصنف قليل في الأمة، فخرج عليه السلام من البيت الحرام حتى لا تهتك حرمته بسببه، فقد أبى أن يكون الكبش الذي يستباح به بيت الله الحرام ولذلك فضل أن يُقتل خارج الحرم ولو بشبر وقد احتمى غيره بعده بالبيت فلم يراع الظالمون للبيت حرمة بل قُذف بالحجارة وهدّم بعض أجزائه.

(١) بحار الأنوار ٤٤/٣٦٧.

استمرار العلاقة

واستمرت العلاقة الخاصة بين أهل البيت بعد الحسين عليه السلام مع الكعبة الشريفة ومن ذلك أن ابنه السجاد عليه السلام وهو مظهر من مظاهر قول أمير المؤمنين عليه السلام: (من أراد الغنى بلا مال والعزّ بلا عشيرة والطاعة بلا سلطان فليخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعته فإنه واجد ذلك كله)[1]

فقد حج البيت من أمراء بني أمية من لا يملك هذا الوصف وهو هشام بن عبد الملك وأراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر عليه من الزحام فنصب له منبر فجلس عليه فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن الحسين عليه السلام عليه إزار ورداء أحسن الناس وجهاً وأطيبهم رائحة وبين عينيه سجادة كأنها ركبة بعير فجعل يطوف البيت فإذا هوَ بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له وإجلالاً فقال رجل من أهل الشام لهشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة فانفرجوا له عن الحجر؟ فأدعى هشام أنه لا يعرفه، لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضراً أنا أعرفه وأنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته

والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا التقي النقي الطاهر العلم

(١) . مجموعة ورام ٤٤/١

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله

بجده انبياء الله قد ختموا)[1]

وبعد مدة التقى هشام مع الإمام الباقر عليه السلام عندما راه في ركن البيت الحرام وقد اجتمع عليه الناس(فقال له نافع يا أمير المومنين من هذا الذي تداك عليه الناس؟فقال هذا نبي أهل الكوفة هذا محمد بن علي فقال أشهدلآتينّه فلأسألنه عن مسائل لايجيبني فيها إلا نبي أو ابن نبي أو وصي نبي قال اذهب إليه وسله لعلك تخجله)[2] وذهب ليخجل الإمام كما أمره أميره لكنه رجع يشيد بفضله وعلمه وقد أوصى الإمام الباقر عليه السلام في آخر عمره (بوقف بعض أمواله على نوادب تندبه عشر سنين في منى واعتقد أن السبب في ذلك يعود إلى أن منى هي أعظم مركزللتجمع الإسلامي أثناء الحج ووجود النوادب فيه يبعث المسلمين إلى السؤال عن سببه فيخبرون بما جرى على الإمام من صنوف التنكيل من قبل الأمويين واغتياله له ظلماً وعدوانا)[3]

الإمام الحجة عجل الله فرجه والكعبة

روى الإمام الباقر عليه السلام استمرار هذه العلاقة الوطيدة بين الكعبة وأهل البيت مما يدل على وثاقتها فقد أخبر عليه السلام عن

(١) . جهاد الإمام السجاد ٢١٥.
(٢) . بحار الأنوار ٣٠٨/١٨
(٣) . معالم مشعة ١٨٥.

أحداث ستقع في المستقبل (مستقبل الأمة الزاهر المرتبط بخروج صاحب الزمان):

(يبعث السفياني بعثاً إلى المدينة فينفر المهدي منها إلى مكة، فيبلغ أمير جيش السفياني أن المهدي قد خرج إلى مكة، فيبعث جيشاً على أثره، فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقب على سنة موسى بن عمران عليه السلام. قال: فينزل أمير جيش السفياني البيداء، فينادي مناد من السماء: يا بيداء أبيدي القوم ! فيخسف بهم فلا يفلت منهم إلا ثلاثة نفر يحول الله وجوههم إلى أقفيتهم وهم من كلب، وفيهم نزلت هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ .. الآية.

قال: والقائم يومئذ بمكة، قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيراً به، فينادي:

(يا أيها الناس إنا نستنصر الله، فمن أجابنا من الناس فإنا أهل بيت نبيكم محمد، ونحن أولى الناس بالله وبمحمد ﷺ فمن حاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجّني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجّني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجّني في محمد فأنا أولى الناس بمحمد ﷺ، ومن حاجّني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه:

﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

فأنا بقية من آدم وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة من محمد صلى الله عليهم أجمعين.

ألا فمن حاجني في كتاب الله فأنا أولى الناس بكتاب الله، ألا ومن حاجني في سنة رسول الله فأنا أولى الناس بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله فأنشد الله من سمع كلامي اليوم لما بلغ الشاهد الغائب، وأسألكم بحق الله، وحق رسوله صلى الله عليه وآله، وبحقي، فإن لي عليكم حق القربي من رسول الله، إلا أعنتمونا ومنعتمونا ممن يظلمنا، فقد أخفنا وظلمنا، وطردنا من ديارنا وأبنائنا، وبغي علينا، ودفعنا عن حقنا، وافترى أهل الباطل علينا، فالله الله فينا، لاتخذلونا وانصرونا ينصركم الله تعالى).

قال: فيجمع الله عليه أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، ويجمعهم الله له على غير ميعاد قزعاً كقزع الخريف، وهي يا جابر الآية التي ذكرها الله في كتابه:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

فيبايعونه بين الركن والمقام، ومعه عهد من رسول الله ﷺ قد توارثته الأبناء عن الآباء، والقائم يا جابر رجل من ولد الحسين يصلح الله له أمره في ليلة، فما أشكل على الناس من ذلك

يا جابر فلا يشكلنّ عليهم ولادته من رسول الله ﷺ، ووراثته العلماء عالما بعد عالم، فإن أشكل هذا كله عليهم، فإن الصوت من السماء لا يشكل عليهم إذا نودي باسمه واسم أبيه وأمه)[1].

وواضح من هذا الحديث المبارك أن الظهور المبارك يبدأ من هناك.. من بيت الله الحرام.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يُرينا ذلك بمحمّد وآله

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) . غيبة الطوسي ص٢٦٩

فضل زيارة أمير المؤمنين
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

روى الشيخ الطوسي رحمه الله بسند صحيح عن محمد بن مسلم عن الصادق عليه السلام قال: ما خلق الله خلقاً أكثر من الملائكة وإنه لينزل كل يوم سبعون ألف ملك فيأتون البيت المعمور فيطوفون به فإذا هم طافوا به طافوا بالكعبة فإذا طافوا بها أتوا قبر النبي صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه ثم أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلموا عليه ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه ثم عرجوا، وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة ثم قال: من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقه أي وهو يعترف بإمامته ووجوب طاعته وأنّه الخليفة للنبي صلى الله عليه وآله حقاً غير متجبر ولامتكبر كتب الله له أجر مائة الف شهيد وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وبعث من الامنين وهوّن عليه الحساب واستقبلته الملائكة.

وروي عنه عليه السلام أيضاً أنه قال لابن مارد: يابن مارد من زار جدّي عارفاً بحقّه كتب الله له بكل خطوة حجة مقبولة وعمرة مبرورة، يابن مارد والله مايُطعم الله النار قدما غبرت في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام ماشياً كان أو راكباً، يابن مارد اكتب هذا الحديث بماء الذهب.

زيارة أمين الله

أَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أمينَ اللهِ في أرضِهِ وَحُجَّتَهُ عَلىٰ عِبادِهِ، أَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا أميرَ المؤمنينَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ جاهَدْتَ في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ، وَعَمِلْتَ بِكِتابِهِ، وَٱتَّبَعْتَ سُنَنَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتّىٰ دَعاكَ اللهُ إلىٰ جِوارِهِ، فَقَبَضَكَ إلَيْهِ بِٱخْتِيارِهِ، وَأَلْزَمَ أَعْداءَكَ الحُجَّةَ مَعَ ما لَكَ مِنَ الحُجَجِ البالِغَةِ عَلىٰ جَميعِ خَلْقِهِ.

أَللّٰهُمَّ فَٱجعَلْ نَفْسي مُطْمَئِنَّةً بِقَدَرِكَ، راضِيَةً بِقَضائِكَ، مولَعَةً بِذِكْرِكَ، وَدُعائِكَ، مُحِبَّةً لِصَفْوَةِ أَوْلِيائِكَ، مَحْبوبَةً في أَرْضِكَ، وَسَمائِكَ، صابِرَةً عَلىٰ نُزولِ بَلائِكَ، شاكِرَةً لِفَواضِلِ نَعْمائِكَ، ذاكِرَةً لِسَوابِغِ آلائِكَ، مُشْتاقَةً إلىٰ فَرْحَةِ لِقائِكَ، مُتَزَوِّدَةً التَّقْوىٰ لِيَوْمِ جَزائِكَ، مُسْتَنَّةً بِسُنَنِ أَوْلِيائِكَ، مُفارِقَةً لِأَخلاقِ أَعدائِكَ، مَشْغُولَةً عَنِ الدُّنْيا بِحَمْدِكَ وَثَنائِكَ.

أَللّٰهُمَّ إنَّ قُلوبَ المُخْبِتينَ إلَيْكَ والِهَةٌ، وَسُبُلَ الرّاغِبينَ إلَيْكَ شارِعَةٌ، وَأَعلامَ القاصِدينَ إلَيْكَ واضِحَةٌ، وَأَفئِدَةَ العارِفينَ مِنْكَ فازِعَةٌ، وَأَصواتَ الدّاعينَ إلَيْكَ صاعِدَةٌ، وَأَبوابَ الإجابَةِ لَهُمْ مُفَتَّحَةٌ، وَدَعْوَةَ مَنْ ناجاكَ مُسْتَجابَةٌ، وَتَوْبَةَ مَنْ أَنابَ إلَيْكَ مَقْبولَةٌ، وَعَبْرَةَ مَنْ بَكىٰ مِنْ خَوْفِكَ مَرْحُومَةٌ، وَٱلإغاثَةَ لِمَنِ ٱستَغاثَ بِكَ مَوْجُودَةٌ، وَٱلإعانَةَ لِمَنِ ٱستَعانَ بِكَ مَبْذُولَةٌ، وَعِداتِكَ لِعِبادِكَ مُنْجَزَةٌ، وَزَلَلَ مَنِ ٱستَقالَكَ مُقالَةٌ، وَأَعْمالَ العامِلينَ لَدَيْكَ مَحْفوظَةٌ، وَأَرْزاقَكَ إلَى الخَلائِقِ مِنْ لَدُنْكَ نازِلَةٌ، وَعَوائِدَ المَزيدِ إلَيْهِمْ واصِلَةٌ، وَذُنوبَ المُسْتَغْفِرينَ مَغْفُورَةٌ، وَحَوائِجَ خَلْقِكَ عِنْدَكَ مَقْضِيَّةٌ، وَجَوائِزَ السّائِلينَ عِنْدَكَ مُوَفَّرَةٌ، وَعَوائِدَ المَزيدِ مُتَواتِرَةٌ، وَمَوائِدَ المُسْتَطْعِمينَ مُعَدَّةٌ، وَمَناهِلَ الظِّماءِ مُتْرَعَةٌ، أَللّٰهُمَّ فَٱستَجِبْ دُعائي وَٱقبَلْ ثَنائي وَٱجمَعْ بَيْني وَبَيْنَ أَوْلِيائي بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفاطِمَةَ وَٱلحَسَنِ وَٱلحُسَيْنِ، إنَّكَ وَلِيُّ نَعْمائي وَمُنْتَهىٰ مُنايَ وَغايَةُ رَجائي في مُنْقَلَبي وَمَثْوايَ.

أنتَ إلٰهي وَسَيِّدي وَمَوْلايَ إغفِرْ لِأوْليائِنا وَكُفَّ عَنّا أعداءَنا وَٱشغَلْهُمْ عَنْ أذانا وَأظهِرْ كَلِمَةَ الحَقِّ وَٱجعَلْها العُلْيا وَأَدحِضْ كَلِمَةَ الباطِلِ وَٱجعَلْها السُّفْلىٰ إنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ.

الفهرس

المقدمة ٣
الكعبة والخليل عليه السلام ٥
الكعبة وذرية الخليل عليه السلام ١٣
الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والكعبة ١٤
وليد الكعبة عليه السلام ١٧
الإمامان الحسنان عليهما السلام والكعبة ٢٠
استمرار العلاقة ٢٤
الإمام الحجة عجل الله فرجه والكعبة ٢٥
فضل زيارة أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ٢٩
زيارة أمين الله ٣٠

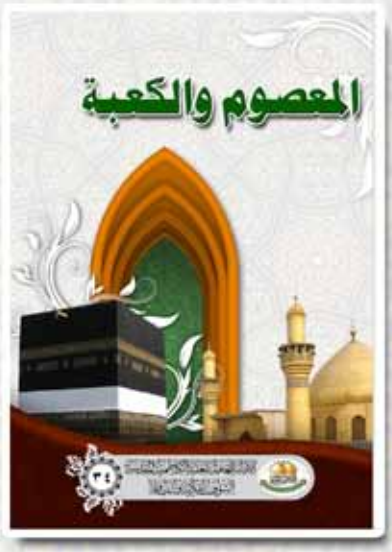

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
زورونا www.aljawadain.org
الشؤون الفكرية والثقافية
راسلونا fikriya@aljawadain.org